

هذا التمييز ضروري بسبب شيوع النظرة الخاطئة القائلة إن حضارة العصر ماهي إلا الحضارة الأوروبية المسيحية، وماهي إلا حضارة الغرب وقيمه وأفكاره. ويركز بعض المستشرقين على هذا التفسير المغرض في مقارنتهم بين الإسلام والغرب ليحولوا دون تصالح الغرب والمسلمين مع الحضارة الحديثة وإبقائهم في عزلة التخلف وتبعاته المهلكة، باعتبار أن الحضارة الحديثة ماهي إلا الحضارة الأوروبية المسيحية التي يستحيل على المسلمين قبولها. وقد تسلت هذه الفكرة إلى عقول بعض مفكري المسلمين دون التنبه إلى أغراضها. لذلك فالتمييز أساسي بين التقدم الحضاري العالمي ومظاهر الحضارة الأوروبية التي هي فقط إحدى صيغ الحضارة العالمية الحديثة، وليست بالقطع صيغتها الحتمية الوحيدة كما يتضح من تجارب حضارية أخرى ذات خصوصيات متميزة وهي تجارب غير أوروبية وغير مسيحية كالتجربة اليابانية والصينية والهندية.

وحتى إذا عدنا للحضارة الأوروبية الغربية ذاتها في خصوصيتها، فإننا نعتقد أن تعميم الحكم عليها بأنها حضارة مادية إلحادية تعميم لا يستقيم مع موضوعية البحث التاريخي والفكري، وهذا ما يعيدنا إلى ماقلناه قبل قليل من أن الحضارة الغربية ظاهرة متعددة الأبعاد والأصوات، فلماذا نكتفي ببعد من أبعادها وصوت من أصواتها دون النظر إلى الأبعاد والأصوات الأخرى؟
فما يشاع عنها مثلاً أنها قائمة أساساً على تصور الإنسان - الحيوان ذي الغرائز والميول المادية.

وأرى إذا صححت هذه الإشارة بالنسبة لفلسفة فرويد، فإنها لاتصح إطلاقاً بالنسبة لفلسفة غوستاف يونغ رفيقه في اكتشاف مدرسة التحليل النفسي الذي ثار عليه وانفصل عنه وأسس تياراً مؤمناً في علم النفس الحديث يقوم على النظر بتوجه إيماني في رموز اللاوعي الكوني العميق في نفس الإنسان الباطنة، وكيف انطوت في أعماقها على حقائق الألوهية والوحي بما يتعدى إطار اللاوعي الفردي الجنسي الذي وضعه فرويد، بل وبما يناقضه تماماً.

والواقع أن هذ الملاحظة تصح بالنسبة لأغلب العلوم الحديثة، فإذا كان داروين، إلحادياً أو شبه إلحادي في نظرتة لعلم الأحياء والتطور فإن العالم